جـمـهـوريـــة الـعـــراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الإنسانية

قـســم الـلـغـة الـعـربـيـة

التشكيل البياني في شعر الصعاليك والفتّاك حتّى نهاية العصر الأُموي

أطروحة تقدم بها

خالد جعفر مبارك

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى

هي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها

بإشراف الأستاذ الدكتور

فاضل عبود خميس التميمي

1435هـ 2014م

التشكيل التشبيهي وفاعليَّته :

إضاءة:-

يعدُّ التشبيه من الأساليب البيانيّة المميَّزة ، وهو وسيلة رئيسة من وسائل تشكيل الصور الفنيّة في النص الشعري ،إذ يزداد به المعنى رفعة وشأناً ، ويبرزه إيضاحاً وبياناً ويكسبه تأكيداً وبلاغةً ،إنَّه وعاءٌ كبيرٌ يستوعب الأفكار والمشاعر، فيجد فيه الشاعر أداة طيعة في كُلِّ غرض من أغراض الكلام التي يريد التعبير عنها 0 وهو من أقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها إلى الفهم والأذهان[1]، ويعدُّ من أكثر الفنون دوراناً في الشعر العربي القديم، ولذلك اهتم به النقاد والبلاغيون ووضعوا الدراسات لبيان أنواعه وتوضيح مقاصده0

والتشبيه في اللغة، هو التمثيل ،نقول:الشِّبهُ والشَّبهُ والشبيه :المثل والجمع :أشباه وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله ،وفي المثل:من أشبه أباه فما ظلم000وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليَّ وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كلٌّ واحد منهما صاحبه ،وفي التنزيل((متشابه وغير متشابه)) (الأنعام141)، وشبَّهه إياه وشبَّهه بهِ مثله00 والمتشابهات :المتماثلات ، وتشبّه فلان بكذا ، والتشبيه التمثيل 0[2]

أمَّا في الاصطلاح فإن للتشبيه تعريفات كثيرة[3] لا داعي لذكرها ، على أنَّ

([1]) ينظر : أصول البيان العربي:65 0

([2]) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) (مادة شبه)، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار الكتب المصرية القاهرة ،ط:1الجديدة 1953م، ولسان العرب ، (مادة شبه) 0

([3]) ينظر: نقد الشعر ، قدامه بن جعفر(337)هـ، تحقيق كمال مصطفى ،مكتبة الخانجي ،القاهرة 1948م:124، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القيرواني(ت465هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ،بيروت لبنان ،د ت ،1 ،: 286 ،والمثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ)،تحقيق محمد محيي عبد الحميد،القاهرة ،1358هـ-1939م، 2 :123 0

تعريف الخطيب القزويني هو الأقرب إلى الحدود الفنية لمصطلح التشبيه فهو يرى أنَّهُ:((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))[4] أو أكثر، أو وجه أو أكثر من وجه، وتعقد به مماثلة لوجود صفة مشتركة بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، بأداة ملفوظة أو محذوفة، لغرض يقصده الأديب.

وعرفه المعاصرون بتعريفات عدة [5]،لا يبتعد معظمها عن تعريفات القدماء للتشبيه وكلها تؤدي إلى معنَى واحد وهو((أنَّ التشبيه ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر))[6] 0لكن هذهِ الصفات تجري على مستويات بمدى اتفاقها أو اختلافها ، وكثيراً ما يتأثر التصوير بالسِّياق الذي تظهر فيهِ أطراف العمليَّة التشبيهيَّة0

التشبيه كثيرٌ في لغة العرب وأشعارها ، ولهذا جعلوه أحد مقاييس التميّز الأدبي،كما أن بلاغته تنشأ((من أنَّه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء ظريف يشبهه، وصورة بارعة تمثله، وكلَّما كان هذا الانتقال بعيدًا قليل الحضور بالبال، أو ممتزجًا بقليل أو كثير من الخيال . كان التشبيه أروع للنفس وادعى إلى إعجابها واهتزازها))[7] 0

([4]) الإيضاح في علوم البلاغة ،جلال الدين الخطيب القزويني ، ،تحقيق لجنة من أساتذة الجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة ،2: 328 0

([5]) ينظر: البيان العربي ، دراسة في تطوير الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، د بدوي طبانة ، مكتبة الانجلو المصرية ،ط:3 ،1962م : 39 ، و المقدمة في الشعر ،جاكوب كرج: ،ترجمة رياض عبد الواحد ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط/2004،2،: 24، 0

([6]) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،الدكتور احمد مطلوب: مكتبة لبنان ناشرون 2007،2: 170

([7]) البيان فن الصورة ، مصطفى الصاوي الجويني: ، دار المعرفة الجامعية عين شمس، سوتير الإسكندرية: 33 0

فهو في حقيقة أمره يقوم على اجتماع أمرين في تركيب واحد بينهما تماثل ومقارنة ، ويكون في إطار العمل الإبداعي معبراً عن موقف شعوري خاص، لا يكون فيه تماثل على أساس وجود صفات مشتركة سابقة ، بل هو خلق فني ينبثق من رؤية المبدع أو إحساسه بهذا التماثل الكامن في النفس والشعور[8]0أمّا إذا راوح المبدع عند حدود الدائرة المغلقة ، التي تبث التشابه المادي بين الأشياء من دون أن يكون ثمة ارتفاع إلى مصاف الحالة النفسية ، التي لا ترى الأشياء كما هي ، فإنَّه يقع في دائرة الجمود ،التي تحدث عنها الجرجاني(471هـ) بقوله:((إنَّ تصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه إليه من النيق[9] البعيد باباً من الظرف واللطف ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه العقل ، واحضر شاهد على هذا أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض فان التشبيهات سواء كانت عامية ام خاصة مقصورة على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتداد ولا يكون لها موقع من السامعين ولا تهزُّ ولا تحرك حتَّى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس))[10]، هذا يعني أنَّ التشبيه مرتبط بالحالة الوجدانيّة للشاعر التي تستطيع أن تخلق في البنية التشبيهيّة شعريّة معبّرة عن النفس ، وقادرة على التوصيل ،إذ إنَّ سموَّها ينعقد عند نقطة تمثلها داخلياً[11] ، لتمتلك قوة إيحائيّة ، تبعدها عن الحسيّة المبتذلة ، وتدخلها في فضاء الروح لكونها استمدت عناصرها من زاويتين خارجيّة

([8]) ينظر :الصورة المجازية في شعر المتنبي،جليل رشيد فالح ،أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه ، بإشراف احمد مطلوب،1985م:45

([9]) النيق بالكسر ارفع موضع بالجبل 0

([10])أسرار البلاغة ،علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا ،دار المطبوعات العربية،(د0ت):109 0

([11])ينظر : رماد الشعر، الدكتور عبد الكريم راضي جعفر ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1998م :291،–302 0

داخليّة ، وبهذا التشكيل يكون التحوّل نتيجة التقليل من عناصر التناظر بين الأشياء [12] 0

والذي لا شك فيه أن التشبيه الذي يستند إلى أمر تبصره العيون أو تكثر مشاهدته في الحياة اليومية، يفقد عنصر الطرافة والجدة إلى الحد الذي يمكن اعتباره تشبيهًا مبتذلاً[13]، على العكس من ذلك التشبيه الذي يقوم على أمر تقل رؤيته، وتندر مشاهدته، يُعَد تشْبيهاً غريباً نادراً بديعاً مستطرفاً[14]؛لأنَّه يعتمد على((قوة التركيز ونفاذ البصيرة التي تدرك ما لم يسبق لنا أن أدركناه، أو نادراً ما ندركه، ومن هنا تكون الهزَّة المُفَاجِئة التي تضعها الصورة،تكون حالة الارتياح))[15]، فالتشبيه النابع من الحالة الوجدانية يخلق شعريَّة معبرة عن النفس وقادرة على التوصيل0 [16]

والجمع بين المتباعدات يتولَّد من المفارقة بين تنافُر المتباعدات في الواقع الخارجي، وانسجامها في التركيب اللغوي لدقة التخيّل، الذي هو نتاج الخيال ((لا يظهر في شيء بقدْر ما يظهر في إحالة فوضى الدوافع المنفصلة إلى استجابة موحدة منتظمة))[17]، لذلك ليس من الغريب أن ((يؤول التنافر المعجمي بالخيال إلى تكامل سياقي))[18]؛ ليكون أقدر على إثارة التأمُّل، وعندما يصل التشبيه إلى هذا المستوى

([12]) ينظر : رماد الشعر :302 0

([13]) ينظر: أسرار البلاغة : 165و166 0

([14]) ينظر: المصدر نفسه:144 0

([15]) الصورة والبناء الشعري،الدكتور محمد حسن عبد الله،دار المعارف ،مكتبة الدراسات الأدبية،مصر ،القاهرة، 1981م :33 0

([16]) ينظر: رماد الشعر :291 0

([17]) مبادئ النقد الأدبي،أ ريتشارد ،ترجمة د 0محمد مصطفى بدوي ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ،مطبعة مصر 1963 ، : 315 0

([18])هكذا تكلم النص استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام ، الدكتور محمد عبد المطلب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط:1، 1997م:183 0

من اللطافة والرقة والغموض والحداثة تتحرّر فيه الدلالة من إطارها الضيِّق لتتَّجه نحو الإيحاء الذي هو ميزة اللغة الشِّعريّة التي تُعنَى بالجمع بين الأفكار المتباعدة والانفعالات المتباينة، بهدف إحداث تأثير حاد، أو صدمة شعوريّة سريعة في نفس المتلقي،فمن غير الممكن تصور البناء الفني للقصيدة دون عملية التخيّل ،فهو يدخل في بنيتها مكونا مع اللغة والعناصر الأخرى ما نسميه البناء الشعري أو بنية الشعر[19]

ولغة التشبيه تتميّز من منشئ إلى آخر بحسب قدرة المتكلم، أو المنشئ الذاتيّة على إكساب طابعه الذاتي ، المعبّر عن حالة الوعي الأدبي أو الفني الذي يتطلب منه فطنة ويقظة عقلية قادرة على خلق علاقات جديدة بين أطراف متباينة ، ومتباعدة ، ليعبّر عن معنى في وعيه أحيانا في لا وعيه ،وكل ذلك يجعل اتصاف التشبيه في أدائه الفني في هذا المنحى بالمجاز اتصافاً وارداً ليزيد المعنى وضوحاً[20] 0

والتشبيه في أحيان كثيرة لا يخلو من اتحاد وتفاعل ،ففيه يتلقف الذهن أو الحس المشبه به ويتعامل مع معطياته أكثر من انصرافهما إلى المشبه ، وان كان المشبه هو الغاية والمنطلق ،ففي حالة الموازنة ضمن إطار التركيب ويكاد المشبه يكون منسياً ، وذلك ؛ لأنَّ ((المشبه به أعلى من المشبه لتحصل المبالغة هناك وتختلف تلك الأوصاف الجامعة))[21] ؛ ولأنَّ التشبيه قائم على وجود قوة آسرة لا نجدها في العبارات الاعتياديّة ،توجد مقارنة بين صورتين ،صورة سالبة منفعلة هي صورة المشبه ،وصورة فعالة هي صورة المشبه به الذي يضفي على المشبه كُلّ ما يناسبه من أوصاف ومعان، التي تبدو في ظاهرها غير مناسبة للمشبه تعمل لا شعورياً على خلق

([19]) ينظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي –محمد رضا مبارك –ط1–1993 :170.

([20]) ينظر: نظرية البيان العربي :223 0

([21]) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،يحيى بن حمزة العلوي ،مطبعة المقتطف ،القاهرة –1914 ، 1: 266 0

جو عام يؤثر في المشبه ، لتجعل المماثلة بين طرفي التشبيه تتفاوت بين الزيادة والنقصان، أو بين الوضوح والغموض بحسب المعنى المستعمل سواء أكانت الصفة التشبيهيّة مفردة أم متعددة، ويرمي المبدع إلى رسم أبعاد الموازنة بين طرفي التشبيه إلى الربط بينهما في حال يكشف فيه عن جوهر الجمال الذاتي الذي استحوذ عليه، يدلك على تشكيل صورة المعنى التي هي لوحة تشكلت من المعاني الجزئية بصياغة فنية دقيقة لتشكل المعنى الكلي بشكل متساوق ضمن جزيئات إقامة البناء الأساس للقصيدة، وتمنح النص بعداً جمالياً يظهر مهارة الشاعر، وقدرته الإبداعيّة في رسم صوره، فتبرز انفعالاته بكلمات معبرة يحاول فيها تصوير مشاعره بانتقاء الألفاظ والتعابير الموحيّة التي تنقل عاطفته، لتتم المشاركة بين المنشئ والمتلقي سواء أكان مستمعا أم قارئا .فيحس انفعالاته المتباينة، ويفهم أفكاره المتنوعة، ويدرك خياله الواسع، فالتشبيه يكون أكثر تناغماً بين المبدع والمستمع لما تحمله من روابط نفسية تكسبها تلك المزيّة، ويكتسب أهميته من أنه يقرب المعاني إلى إفهام المتلقي ويوضحه، ويتوسع في أدائه اللغوي وفي إحداث معانٍ جديدة تعطي الألفاظ الوضعيّة دلالات جديدة نستشفها من علاقات استعمال المفردات اللغوية ،فالتشبيه((ومضة الإنارة التي ينكشف المعنى عبرها بجلاء ،ولكن لهنيهة فحسب ،وذلك ليترك لخيال المتلقي أن يبحث عن الترابطات))[22] ،التي تحقق فنية راقية نظرا لما تحمله من عاطفة عميقة 0

فالتشبيه كيان واحد تضامنت أجزاؤه على هيئة صور متناسقة العناصر لا يمكن فيها الفصل بين المشبه والمشبه به أو الأداة،أو وجه الشبه ، لإدراك جماليته، بل

([22]) مقالات في الشعر الجاهلي،يوسف اليوسف، دار الحقائق ،ط1 – 1983 :260 0

النظر إلى أركانه مجتمعة ،حتَّى نتمكن من تذوق جماليته والحكم عليه ،لأنَّك لا تتذوق لوحة مصورة إذا غضضت النظر عن غالب أجزائها وأمعنت في جزء واحد منها 0[23]

وعلى هذا الأساس إذا أردنا أن نتذوق التشبيه في شعر الصعاليك والفتّاك، ونقف على أسرار جماليته ،كان لزاما علينا أن ننظر إليه نظرة تكامليّة دون النظر إلى مكوناته بشكل منفرد ،بل من خلال فعاليّة هذه الأركان ومقدرتها في إثارة ذهن المتلقي ،ورصد مقدرة الشعراء في رسم أبعاده الفنيّة وصوره وأخيلته 0

والدارس لشعر الصعاليك والفتّاك يجد أنَّ التشبيه من أقوى الوسائل البلاغيّة التي اعتمدها الشعراء – أسوة بغيرهم من شعراء عصرهم– في تشكيل صورهم ،إلا أنَّهم وضعوا له بصمة خاصة في تمييزه عن أشعار غيرهم من الشعراء ،وذلك يعود إلى رؤيتهم الخاصة للحياة وانفتاحهم على الطبيعة،التي كان لها ثقل وضغط دائم على الروح الإنسانيّة التي يمتلكونها ،وامتلاء وحضور في الوعي يضغط على الروح من الخارج ويخرق نقابها ليسكن في داخلها ، ويتحكم بالخيال ،القادر دوما على إيقاظ أحاسيس هاجعة فيه ،ساهمت في عملية نسج الصورة التشبيهيّة وبنائها وتكوينها من عناصر الطبيعة[24] ، بشكل جعلهم يحمّلونها همومهم ومشاكلهم ،فأصبحت الجبال والصحارى بكل موجوداتها وحيواناتها ونباتاتها مادة لتشبيهاتهم ، ومنها أخذوا يستوحون أخيلتهم وصورهم للدلالة على شيء واحد هو شخصيّة الصعلوك أو الفاتك نفسها وحياته، وكلّ ما يحيط بها من فقر وجور وتسلط وظلم وجدوا أنفسهم محاطين به ،فضلاً عن رفاق المكان الذين فرضتهم بيئته الجديدة من حيوانات أليفة ووحوش مفترسة ،وما يستخدمونه من آلات للدفاع عن أنفسهم وسط كلّ تلك المخاطر 0 فهم

([23]) ينظر: التشبيه بين العلمية والجمالية ،الدكتور مهدي صالح السامرائي ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد:20،لسنة 1976 :402

([24]) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي :303 –306 0

في كلِّ ذلك يعبّرون عن موقفهم منها وتأثرهم بها، فنراهم يجودون في وصف ليلة شديدة البرد أو يومٍ شديد الحر أو وحوشٍ ترود من حولهم أو أعداء يرصدونهم متربصين بهم، فهم لا يوظفون التشبيه لذاته، وإنَّما من زاوية ارتباط الشيء المتناول بشخصهم هم في مزاولة الصعلكة والفتك .

وللوقوف على هذه الظاهرة في أشعارهم وجدنا أن نقسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث ،نتناول في الأول البنية التشبيهيّة المرسلة وفي الثاني البنية التشبيهيّة البليغة وفي الثالث البنية التشبيهيّة التمثيليّة 0

المبحث الأول : البنية التشبيهيّة المرسلة :

هي البنية القائمة على التقريب بين المشبه والمشبه به بواسطة أداة التشبيه ، لكنها لا توحدهما ،غير أنَّ الشاعر الخلاق يستطيع أن يذيب حجم الكثير من العناصر التي تقف بوجه التوحد أو الانصهار ،إذا نظر إلى الأشياء بوصفها وظائف أو معاني ،لا بوصفها أشكالاً 0 وتعد البنية التشبيهيّة من العناصر المشكلة للصورة التشبيهيّة وتداخلها فهي لا تخلق من فراغ ولا في فراغ إذ إنّها ((وحدة تركيبية معقدة تتبارى فيها شتى المكونات : الواقع والخيال ، اللغة والفكر، الإحساس والإيقاع، الداخل والخارج، الأنا والعالم . يتناسج الجميع ويتشابك ليؤلف (التوقيعة) أداة الشعر الرئيسيّة ووسيلتها الوحيدة لتحقيق أدبيته وتجسده خلقاً معبراً سوياً ..))[25] ، وهذا ما سوف يتم رصده في شعر الصعاليك والفتّاك للكشف عن الكيفية التي تعاملوا بها مع اللغة لتوظيف البنية التشبيهيّة المرسلة في تكوين صور أخذت على عاتقها الكشف عن واقعهم النفسي ومعاناتهم في بيئة الصحراء ، برمالها وديارها وسحبها ورياحها وسمائها ونجومها وبردها وحرّها، وليلها ونهارها، ووصف الكواكب المضيئة ليلًا ونهاراً، هذا ما جعل اغلب صورهم التشبيهيّة واضحة المعالم بعيدة عن التعقيد أو الغموض، ولا نجد في خيالهم اضطراباً أو استحياءً من بعيد، وسبب ذلك أن البيئة واضحة مكشوفة، فهنالك الفضاء الرحب الذي يمتد فيه البصر من غير أن تصده عوائق، وهنالك الشمس الساطعة التي لا تحجبها الغيوم إلا في بعض المناطق أزمانا قصارا في كل عام ، يقول الشنفرى:

وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

وَأَلْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْــرَاهُ مُوفِياً على قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثِلُ

([25]) أوهاج الحداثة ،الدكتور نعيم اليافي ، ط:1منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق:174و 175.

تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ

وَيَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي مِنَ العُصْمِ أَدْفى يَنْتَحي الكَيحَ أَعْقَلُ[26]

في هذه الأبيات نرى البنية التشبيهيّة في تشكيل لغوي يكونه خيال الصعلوك ، من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، لبناء صورة شعريّة ترتفع إلى مصاف الامتلاك والقبض، يكون فيها التوحد بين المشبه والمشبه به قائماً على وفق نظرة خلاقة تذيب حجم الكثير من العناصر التي تقف بوجه التوحد والانصهار ،فقوله (وخرق كظهر الترس) نقلت إلى المتلقي معاني عدة منها وعورة الصحراء وتعرجاتها التي باتت تشبه (الدرع) في تعرجاته ، لتوحي بالمعاناة التي يلاقيها الشاعر في هذا المكان الذي ما يلبث أن يتغلب عليه ليصل إلى موطن آخر يجد فيه الشاعر انتماءه الحقيقي ،ثم تأتي بنية تشبيهيّة أخرى لتصور ما يدور في نفسه من حاجات ، فهو عندما يشبه الأراوي بالعذارى، يريد أن يبلغ حاجته إلى المرأة فهو مدفوع بقوة الدافع الجنسي ،التي تعمل على تشكيل صورته تشكيلاً واقعياً قريباً من حاجة النفس فيه، وتأتي لفظة (يركدن) لتعبر عن حاجته إلى مكان الاسترخاء ،وعن حاجته إلى إرضاء الدوافع المضطرمة ،تعزز دلالتها لفظة (الآصال) التي تذكر بالقيلولة[27] ، فدور البنية التشبيهيّة ليس رسم الأشكال والألوان المحسوسة بذاتها كما تراها، وإنَّما لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى أخرى [28]، لتكون مهمة التشبيه الرئيسية مطبوعة على وجدان المتلقي وقد كانت قبلاً مطبوعة على وجدان الشاعر وبهذا التبادل التأثري

([26])ديوان الشنفرى، طلال حرب، دار صادر بيروت:65 ، الأراوي : ضربٌ من الظباء ،الخرق :الأرض الواسعة ،كظهر الترس :أرض غير مستوية فيها ارتفاعات ونتوءات ، قفر : ليس فيها احد ، العصم :الوعل ، الأدفى: الذي تميل قرناه على ظهره، الكيح: حرف من حروف الجبل 0

([27])ينظر :مقالات في الشعر الجاهلي :239 0

([28]) ينظر: الديوان في النقد والأدب ،عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني ،القاهرة دار الشعب ،ط3 ،1: 21، و ينظر: رماد الشعر ، : 296 0

يكون التشبيه قد أسهم في بناء صورة ممتلئة بالحيوية والنشاط محققة قدراً كبيراً من التوحد المرتبط بموهبة الشاعر، وأدواته الشعريَّة، وتوحد تجربته الشعريَّة ،ليحوّل صدق الوضوح ،والمقابلة إلى صدق الرؤيا التي ينظر إليها من خلال الذهول وليس من خلال الإدراك[29] 0

ومن الصور الذي تكشف عن تمتع الصعلوك بطاقة تخييلية عالية تجسدت بقدرته التصويريّة البارعة من خلال صور المشبه والمشبه به والأداة قول تأبط شراً :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَاناً عَلَى العَوْصِ أَمْطَرَتْ سَمَاؤُهُمُ تَحَتَ الْعَجَاجَةِ بِالدَّمِ

وَقَدْ لاَحَ ضَوْءُ الْفَجرِ عَرْضاً كَأَنَّهُ بِلَمْحَتِهِ أَقْرَابُ أَبْلَقَ أَدْهَمِ

فَإِنَّ شِفَاءَ الدَّاءِ إدراكُ ذَحلَةٍ صَبَاحاً على آثارِ حَومٍ عَرَمرَمِ [30]

نرى في هذه الأبيات مقدرة الشاعر الفنيَّة في نسج أركان البنية التشبيهيَّة المعبّرة عن الصورة بقوله: (كأنه بلمحته أقراب أبلق أدهم) ذات الطابع الحسي التي تتكون من عدة ظواهر حسية ((ضوء , فجر , أقراب , أدهم)) انتزعها الشاعر من واقع بيئته الجاهلية وجسَّدها تماماً بين مخيلته وطبيعة الواقع المادي المحسوس , إذ شبه الفجر وبياضه الذي يخالطه السواد بخاصرة الجواد الأبلق الأسود, الذي يخالطه البياض .بواسطة أداة التشبيه (كأن) المؤلفة من الكاف للتشبيه و(أنَّ) المؤكدة ، التي لها القدرة في إذابة الحدود بين المشبه والمشبه به لترسيخ الصورة التي يصعب عندها الفصل بين أركان التشبيه وقد وصفت هذه الأداة ((بأنها حرف مشبه بالفعل تفيد

([29]) ينظر: العقل في الشعر بين التشبيه والاستعارة والرمز : إيليا حاوي ،مجلة الآداب العدد:12:كانون الأول، 1962،:19 0

([30]) ديوان تأبط شراً وأخباره ،جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر دار الغرب الإسلامي،ط:2، 1999م : 206– 208، العجاجة: غبرة المقاتلين،الأقراب: الخواصر، أبلق أدهم:والأبلق الذي في لونه بياض وسواد معاً ، الذحل :الثار، الحوم والعرمرم : الجماعة الكثيرة .

التوكيد والظن والتقريب))[31]، كما لهذه الأداة ((إمكانات كبيرة في تشغيل الخيال وتحريك عناصر الصورة وغالباً ما تدخل المتلقي في أجواء تأملية)) [32].

فقد أسهمت البنية التشبيهيّة في تشكيل صورة مكتنزة بالإبعاد الدلاليّة والرؤيويّة تثير إيحاءات فكريّة متنوعة يمكن قراءتها قراءة متعددة بحسب تلقي ونظر المتلقي وذائقته الفنيّة ووعيه النقدي . فبعد أن أبلى أبناء قبيلته بلاءً حسناً وفتكوا بقبيلة (العوص) في دياجير الليل المدلهم لاحت البوادر الأولى لضوء الفجر , والفجر يرمز إلى الحرية والوضوح والبشائر الأولى التي تبدّد السواد , وكأن الشاعر أراد القول إن بزوغ الفجر إيذان بانتهاء المعركة لصالح قومه إذ انجلى غبار المعارك وبدا واضحاً كوضوح الفجر أن قبيلته حققت نصراً مبيناً على أعدائها من قبيلة (العوص) .ومن هنا فإن توظيف البنية التشبيهيّة في هذه الصورة كان له أثر كبير في بنية النص وتقوية المعنى وتوكيده0

وكذلك نرى تأبط شراً يوظف البنية التشبيهيّة في وصف طريقٍ ملتوٍ في الجبال يشبه في تلَوّيه خياطة الثوب ، ويصف ما يحيط بجانبيه من بقع الماء الصغيرة ، والغدران الكبيرة ، وحسب ارتفاع الأرض وانخفاضها ، ودرجة انخفاض الحفر بما تحمل من مياه خلفتها سيول جارفة لسقوطها من المرتفعات ، واصطدام مياهها بالصخور في قرقرة ذات صوت رتيب ، توحي بوجه الشبه الدال على عدم التماسك وعدم الإحكام بسبب وجود هذه التضاريس الوعرة ، و على الرغم من هذا الوصف وما

([31]) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ،أحمد مصطفى المراغي دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، 1993 ،3:2 0 23

([32]) التصوير المجازي أنماطه ودلالاته ،الدكتور إياد عبد الودود عثمان الحمداني ،ط/1–بغداد– 2004 :37 0

يوحي به من صعوبات فإنه يشير من هذا الوصف إلى قدرته على اجتياز وعورة هذا الطريق لخبرته وقوته فيقول :

وَشِعْبٍ كَشَلِّ الثَّوْبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ مَجَامِعُ صَوْحَيْهِ نِطَافٌ مُخَاصِرُ[33]

نرى في هذه الأبيات تعانق البنية التشبيهيّة في تكوين صورة تأتلف أجزاؤها مع السّياق العام الذي يولد علاقة رمزيّة تشير إلى المتلقي تجاه نقاط تفجر كُلّ واحدة منها طاقات فنية ذات تأثيرات نفسيّة خاصة ، فتراصف الكلمات في البيت الأول ،وتوظيف حروف الشين والكاف والسين وما تحمله من دلالات صوتيّة في بنية تشكيليّة أوحت بالصورة الملتويّة لهذا المكان ،وعلى الرغم من سيطرة الطابع الحسي على التشبيه ، إلا أنّ الشاعر استطاع أن يناظر بين المؤثرات الخارجيّة في الشيء المحسوس ،بمؤثرات الصور الداخليّة في نفسه ، فيعمل على توحدها، لتعطي قوة متحركة في نفس الشاعر تتولى هذه القوة المحركة بالتدرج لإثارة انفعال في القوى الباطنيّة بإفراز الشيء عند المبدع والاستجابة له عند المتلقي ،الذي بدا يدرك حقيقة هذا المكان ،ويتمثله تمثلاً إنسانياً واعياً ، وكأنَّ الشاعر يصنع نسقاً خاصاً للمكان لم يكن له من قبل هذا، ما جعل البنية التشبيهيّة تتحول إلى ((معانقة نفسيّة يفجر فيها الشاعر ما تفور من مشاعر تحت ركام الذهن وسطحية المنطق ويكون تداخل الانفعال مع حركة الذهول الفني مستعيناً أن يطعم الصورة ما يجعلها تتعدى أسار المحدودات التي يكون فيها الجامع سيد الموقف ويدفعها إلى تخطي أسوار العقلانيّة التي تفصل الأشياء لتعانق ذهولاً فنياً محدقاً نحو حرم الرؤيّة الشعريّة))[34]0

ومن الصور الفنية القائمة على بنية تشبيهيّة مرسلة استوحاها الشاعر من طبيعة حياتهم وبيئتهم قول عروة بن الورد:

---

(33) ديوانه:94 0

(34) فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور: الدكتورة رجاء عيد : منشأة المعارف : الإسكندرية :1979م : 176 0

لَحَى اللهُ صُعلُوكاً إذَا جَنَّ لَيلُهُ مُصَافِي المُشَاشِ, آلفاً كُلَّ مَجزِرِ
يَعُدُّ الغِنَى مِن نَفسِهِ , كُلَّ لَيلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَـــا مِــن صَـدِيقٍ مُيَسَّــرِ
يَنَامُ عِشَاءَ ثُمَّ يُصبِحُ نَاعِساً يَحُتُّ الحَصَـى عَن جَنبِهِ المُتَــعَفَّرِ
قـلِيلَ التـماسِ الزاد إلا لِنَفسِه إِ ذَا هُوَ أَمسَـــى كَالعَـرِيشِ المُجـوَّرِ
يـعِينُ نِسَاءَ الـحيِّ, مَا يَستَعِنَّهُ وَيُمسِي طَلِيحاً , كَالبَعِيرِ المُحَسَّرِ[35]

إنَّ جمال الصورة التشبيهيّة في هذه الأبيات لا يمكن إدراكه إلا من خلال النظر إلى عناصر الواقع والمشاهدات المصورة وما بينهما من تناسق وتآلف يثير فينا جملة من العواطف والانفعالات ، فغاية الشاعر في توظيف هذه التشبيهات للتعبير عن نزعة حسيّة لإدهاش السامع من خلال تشكيل الصور وأبنيتها بهدف الحط من قيمة ذلك الصعلوك الخامل ، لاسيما إذا أسدل الليل ستاره ومضى في المشاش يجمع العظام يألف كُلّ مجزر فهو (كالكلب) مشبها إياه بهذه الصورة التي تحمل في دلالتها العميقة معنى السخريّة والاستهزاء , أو المبالغة الساخرة , ثم يضفي عليه صورة أخرى تحمل في دلالتها الكسل , وهي حينما يستيقظ من نومه ينفض عن جسمه التراب المتعفر , وبعد هذا كله يصورّه بصورة حيوانية أخرى , فهو يعين نساء الحي ويقوم بتلبية أمورهن , حتى يمسي في أخر النهار متعباً مثقلاً بالجهد , فهو (كالبعير المحسرّ) .

وهكذا تتنامى هذه الصورة وتتشكل ويكمّل بعضها بعضا من أجل أن تستحضر الصورة الكلية في ذهن المتلقي للصعلوك الخامل . ثم يبدع الشاعر في تشكيل بنية تشبيهيّة توحي بصورة للصعلوك القوي (البطل) , التي تعد مضادة

([35]) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق :أسماء أبو بكر محمد،منشورات :دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان 1418هـ–1998م :68 ، مصافي : اختار، المشاش:العظمة الدسمة الهشة ،المجزر:موضع نحر الإبل، كالعريش المجوّر: الخيمة الساقطة ، الطليح: العئ، البعير المحسَّر :الضعيف0

للصورة الأولى , هذا الصعلوك الذي اتّحد بـ (عالم الطبيعة) والقوة والمغامرة والاندفاع بعد أن انفصل عن عالم القبيلة،ومن خلال رسمه صورة الصعلوك البطل بقوله:

وَلكِنَّ صُعلُوكاً , صَفِيحَةُ وَجهِهِ كَضَوءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنوِّرِ
مُطِلاً علـــى أعـدَائِـهِ يَـزجُـرُونَهُ بِسَاحَتِهِم , زَجرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ[36]

إنَّ إدراك جمال التشبيه يستلزم منا النظر إلى العبارة التي قبله والتي بعده؛ ذلك لأنَّ بنية التشبيه تتأثر بما قبلها وتؤثر بما بعدها ، ولهذا التأثير دخل كبير في الإحساس بالجمال[37] ، ويبدو لنا الشاعر عروة متمكناً من أدواته الفنيّة واللغويّة , فقد بدأ أبياته بـ (لكنّ) المستدركة التي قيل بشأنها ((لا بد أن يتقدمها كلام ملفوظ به أو مقدر ولا بد أن يكون نقيضاً لما بعده أو ضداً له أو خلافاً على رأي))[38]،وهي عند ابن عصفور (663هـ) تفيد التأكيد لا غير فهي عنده بمعنى (إنَّ) المؤكدة[39] 0ثم جاء بعدها باسمها (صعلوكا) ثم اخذ بوصف الصعلوك بالجمل الاسمية (صفيحة) ثم (مطلا) ،وجملة الشرط (إذا بعدوا)إلى أن تم المعنى (فذلك إن يلق) ، ونلاحظ تمكن الشاعر من نسج عناصر اللغة من اجل وصف صورة الصعلوك الشجاع المغامر مستثمرا إمكاناته اللغويّة من جهة ومرونة الجملة الشعريّة .فهو في هذه الأبيات يلفت انتباهنا إلى الصورة التشبيهيّة الرائعة التي أبدعها الشاعر حينما شبّه وجه الصعلوك بالشهاب المضيء المنور في أعالي السماء , وهنا نجد الدقة والمقارنة في صورته هذه مع صورة الصعلوك الخامل وتشبيهه بالصورة الحيوانيّة المتدنيّة في مقابل صورة

([36]) ديوانه: 69 0

([37]) ينظر: التشبيه بين العلمية والجمالية : 408 0

([38]) معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي : ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي –بغداد 1990م 1: 332. 0

([39]) ينظر: شرح ابن عقيل ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط/2،دار مصر للطباعة القاهرة 1980م ،1: 338 0

سماوية محلّقة تدلُّ على الرفعة والسمو ضمن ثنائية (الأعلى – الأدنى) , ثم يضفي سمة أخرى على الصعلوك النشيط فضلاً عن النور التوهج صورة البطل المغير، والغازي الذي يهدد أعداءه ،ويطل عليهم باستمرار وهم يصيحون به كما يزجر المقامرون بعض قداحهم الخاسرة إذا ضربوا بها , موظفاً لون المقامرة في رسم صورته التشبيهيّة هذه . فهو يهددهم بالغزو والسطو والإغارة إلى حد أنَّه يصور في البيت الثالث مدى سطوته وقوته التأثيريّة في نفوس أعدائه ومدى الرهبة التي تعتمل في دواخلهم بسبب تأثيره هذا , فهو في وعيهم دائماً ويشغلهم باستمرار حتَّى ولو بعدوا عنه , فهم لا يأمنون منه , وهنا يوظف ثنائية (الأمن – الخوف) ويتوقعون أن يغير عليهم ويغزوهم في كلِّ حين ، وهم ينتظرون ذلك منه كما ينتظر أو يتشوف الأهل بعودة الغائب المرتقب المنتظر عودته في كل لحظة .

وهنا تتجلى لنا عظمة الشاعر وطاقته التخيّليّة العاليّة في تشكيل هذه الصور ورسمها التي نلمس من خلالها كيفيّة توظيفه لثنائيّة (القرب – البعد) في الشطر الأول من البيت الثالث ، وكذلك توظيفه في الشطر الثاني لثنائية (الغياب – الحضور) فهو غائب عن أعينهم إلا أنَّه حاضر في وعيهم وتفكيرهم، وإن هذا الحضور يُسبّب لهم الرهبة والفزع .

وبعد هذا كلِّه نجد مدى تمكن الشاعر من اختيار ألفاظ وأفعال وجُمل وصياغتها صياغة محكمة تدل على الخمول والكسل الذي تشير إليه وتعبر عنه مفردة الليل والظلام . (إذا جنّ ليله)،و (ينام عشاء ثم يصبح ناعساً) ،(إذا هو أمسى) , ووظَّف بعض الألفاظ والتعبيرات التي تشير إلى المهانة (مضى في المشاش آلفا كلّ مجزر) ،و (يحت الحصى عن جنبه المتعفر) , و(كالعريش المجوَّر) في إشارة منه إلى الصعلوك الخامل .

في مقابل اختياره لألفاظ وأفعال تدلُّ على الحركة والحيويّة والقوة , في إشارة منه لسمات الصعلوك النشيط البطل (كضوء شهاب القابس المتنور) , (مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر000) فهي جميعاً تسهم في تعميق الدلالة وتوكيد المعنى , فضلاً عن الصور التشبيهيّة المتعددة التي تكتنز بالدلالات العميقة والقيم العليا والسامية التي يؤمن بها الصعلوك النشيط , بحيث تسهم هذه الصور بطاقاتها التعبيريّة في إغناء بنية النص التركيبيّة .

وتتأتى قدرة الشاعر في توظيف هذه المقابلة أي المقابلة بين (الصعلوك النشط / الخامل) . وطرافتها في ((تنوعها من حيث المدى والعمق كذلك بحسب استغلال الشاعر إمكانيات التقابل في الرصيد اللغوي المشترك من ناحية , واستنباطه إمكانيات منه جديدة بعمل ملكة الخلق الفني من ناحية أخرى , وبحسب المظاهر التي يخرجها فيها , وطرافتها من حيث إحكام عناصرها التي تتجلى فيها ومنازلها من التركيب وتقدير المسافة بين بعضها البعض وطرافتها أيضاً من حيث المعاني المختلفة التي تأتي منبّهة عليها ومن حيث مدى مساهمتها في شعريّة القصيدة))[40].

ومن الصور التشبيهيّة المرسلة التي تقرا بحسب فعالية المتلقي في تأمل كيفية التشبيه وايحاءته وتدبر أوجه المعنى الصادر عن كلِّ ذلك قول الشنفرى :

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مـارِيٍّ تُـغَـارُ وتُفْتَـلُ
وأغْدُو على القُوتِ الزَّهِـيدِ كَـمَا غَـدَا أَزَلُّ تَـهَـادَاهُ الـتَـنَـائِـفَ أَطْـحَلُ
غَدَا طَاوِيا يُـعَارِضُ الـرِّيحَ هَـافِـيا يَخُوتُ بأذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ
فَلَـمَّا لَوَاهُ الـقُـوتُ مِـنْ حَيْـثُ أَمَّـهُ دَعَـا فَـأَجَـابَـتْـهُ نَـظَـائِـرُ نُحَّلُ

(40) خصائص الأسلوب في الشوقيات،محمد عبد الهادي الطرابلسي ،منشورات الجامعة التونسية ،1981: 97 0

Rhetorical Formation In Al-Saaleeq And AL-Fattacks Poetry To The End of Umayyad Ere

Abstract

The study deals with Rhetorical Formation as a critical idiom which works in effective poetry field and it is very clear in procedural use . The picture in the poem or the portrait needs the senses and feelings of the receiver and it colours his experience. Thus the drawer and the post use certain means to fulfil his works .

As it is known poetry is based on rhetorical arts and means from linguistic and rhetorical view point to create motivation and astonishment . The thesis aims at revealing the art movement of rhetoric and describing it inside the poem structure and outside it . The poem includes in its multi – understanding . The poem is considered as abase the field for poetic rhetoric .

AL-Saaleeq and Al-fattacks poetry was chosen to be the subject of the present study because it has literary importance . it gathers two literary eras .

Which are considered the most prominent literary eras for poetry production . They include poetic interest and researchers tackled this rich literature . Since the researcher is interested in old literature and has a great wish to study and read it he chose this topic.

The study falls in to the following parts :

Preliminary (Rhetorical formation in Language) was studied from two sides , the first studies the formation and its relation

with poetry . The second deals with the rhetoric term and its development . The study falls into three chapters. The first chapter deals with assimilation formation and its activity .

The decoding assimilation structure was studied in the first part and the rhetoric assimilation structure is studied in the second part .The second chapter studies metaphorical formation . The chapter is divided in to three sections .The first deals with metaphorical structure the second part deals with the body metaphorical structure and the third deals with recognize able decoding structure . The third chapter deals with the exceeding rhetorical formation . The study arrives at the following conclusions and suggestions :

- The study identifies formation concept .It investigates its concept deeply.
- AL-Saaleeq and AL-Fattacks poetry have a great ability in poetry .
- They were able to re form environment from poetic viewpoint .
- They deal with poetic language as scientists who know every thing concerning its content .
- In the assimilation structure art is mixed with psychology .
- Most of Al –saaleeq and Al-Fattacks poctic assimilation pictures are very clear .
- Al –saaleeq and Al-Fattacks poctic were able to change the task of the main assimilation structure from being printed on the poets conscience to being printed on the receivers conscience .

May

- The other studies in future study Al –saaleeq and Al-Fattacks poetry from a semantic point of view .
- A study can deal with semiotic formation phenol menon in Al –saaleeq and Al-Fattacks poetry.
- Al –saaleeq and Al-Fattacks poetry am be studied from a stylistic viewpoint .